

غزوة

الأعراب

عبد الله بن القاسم

دار الفسحة



دار القاسم للنشر، ١٤٢٢هـ (ح)
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد الملك بن محمد
غزوة الأحزاب ومواقف وعبر - الرياض
... ص ؛ ... سم

١- غزوة الأحزاب - السيرة النبوية أ- العنوان

ديوي ٤، ٢٣٩، ٢٣/٢٨٢٨

رقم الإيداع: ٢٣/٢٨٢٧

ردمك: ٢- ٥٩٩- ٣٣- ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

دار القاسم للنشر: الرياض، ١١٤٤٢، ص. ب: ٦٣٧٣

هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ - فاكس: ٤٠٣٣١٥٠

• البريد الإلكتروني: sales @ dar - alqassem . com

• موقعنا على الانترنت: www - dar - alqassem.com



بعد غزوة أحد أظلت المدينة سحابة حزن لفقد
الأحبة شهداء في سبيل الله .. وخيم السكون
حيناً على الجزيرة العربية. ولم يكن ذلك الهدوء
الذي أظلمت المدينة إلا بداية لتحزب الأحزاب من
ملل الكفر والشرك ، يتحينون الفرص ويسابقون
إلى العداوة ! فلا يهنأ لهم بال ولا يقر لهم قرار
حتى يكون معقل الإسلام ومدينته تحت أيديهم
يجوسون فيها تقتيلاً وافساداً. ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ
إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ١٠].

في السنة الخامسة للهجرة خرجت شرذمة من

اليهود نحو كفار مكة ليألبوهم ويحرضوهم على
غزو المدينة، ومحاولة استئصال شأفة الإسلام،
وقتل محمد ﷺ، والتنكيل بأصحابه ! ثم خرج
الرهط يحمل الحقد والكراهية للمسلمين نحو
غطفان ليكتمل عقد الأحزاب.

وتداعت الجموع واقبل الشر بخيله ورجله،
فخرجت من الجنوب قريش وكنانة وأهل تهامة،
ووافاهم بنو سليم وخرجت من الشرق قبائل
غطفان وكذلك خرجت بنو أسد. واتجهت
الأحزاب الكافرة صوب المدينة حتى تجمع حولها
جيش عرمرم يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل!

جيش يزيد عدده على سكان المدينة رجالاً ونساء،
صغاراً وكباراً! في جوعٍ منهم شديد، وبرد
وزمهير، وعده قليلة، وما عند الله خير وأبقى!

اجتمع الأحزاب حول المدينة لسبب واحد لا
غير وإن اختلفت الألسن ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ
حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة:
٢٠١٧].

وفي هذا الجو المكفهر والكرب الشديد انقسم
أهل المدينة إلى قسمين: قسم آمن بوعد الله
وصدق بنصر رسالته ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ
الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ [الأحزاب]:
[٢٢].

فشدوا للقتال وقدموا المهج والأرواح وبذلوا
الأسباب بحفر الخندق وحراسة المدينة ليل نهار
مع ما أصابهم من الجوع والفاقة، فقد كان طعام
الجيش قليلاً من الشعير يخلط بدهن سنخ متغير
الرائحة لقدمه، ويطنخ فيأكلونه رغم طعمه الكرية
ورائحته المنتنة لفرط الجوع، وأحياناً لا يجدون
سوى التمر وقد يلبثون ثلاثة أيام لا يذوقون
طعاماً! وكان أشد أمر عليهم نجم النفاق وفشل
الناس وعظم البلاء واشتداد الخوف وخيف على

الذراري والنساء فقد أحاطوا بالجميع وادلهم
الخطب بالامة ﴿ اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل
منكم ﴾ [الأحزاب: ١٠] وكان النبي ﷺ في هذا
الوقت العصب يبشرهم بأمر عظيم! قال البراء:
لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق
صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكينا ذلك
لرسول ﷺ، فجاء وأخذ المعول فقال: «بسم الله،
ثم ضرب ضربة، وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح
الشام، والله إنني لأنظر إلى قصورها الحمر الساعة،
ثم ضرب الثانية فقطع آخر، فقال: الله أكبر،
أعطيت فارس، والله إنني لأبصر قصر المدائن الآن،

ثم ضرب الثالثة فقال : بسم الله فقطع بقية الحجر ،
فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني
لأبصر صنعاء من مكاني «

والنبي ﷺ يبشر ويرفع من عزائم الصحابة
وكان أحدهم من شدة الجوع يرفع عن بطنه
الحجر فرفع رسول ﷺ عن بطنه الشريف
حجرين!

وأما أهل النفاق وضعفاء النفوس ممن أثر فيهم
الإرجاف فقد تزعزعت قلوبهم وانخلعت
صدورهم لرؤية الجموع والعدد والعدة ﴿ وَإِذْ
يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا

اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ [الأحزاب: ١٢]. وقال المنافقون في ما بشر النبي ﷺ من خزائن كسري وقيصر: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسري وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وقالوا تنصلاً من الجهاد وهرباً منه: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣].

واشتغل النبي ﷺ واصحابه بمقارعة العدو وأخذ العدة وحفر الخندق حتى فاتت المسلمين بعض الصلوات، ففي الصحيحين أن عمر بن

الخطاب - رضي الله عنه - جاء يوم الخندق فجعل
يسب كفار قريش ، فقال : يا رسول الله ! ما
كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب ،
فقال النبي ﷺ : و الله ما صليته « وقد أهم النبي
ﷺ فوات الصلاة فدعا عليهم «مأ الله عليهم
بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى
حتى غابت الشمس » و بقيت الساعات العصبية
أياماً وليال وزادها سوءً نقض بني قريظة العهد
مع الرسول ﷺ فاكتمل عقد الأحزاب حول
المدينة الصامدة ! ولم بلغ رسول ﷺ غدر قريظة
تقنع بثوبه واضطجع ومكث طويلاً حتى اشتد

على الناس البلاء ثم نهض يقول : «الله أكبر ،
أبشروا يا معشر المسلمين بفتح الله ونصره !» وسعى
النبي ﷺ لمجابهة الظرف العصيب وأن يفرق
جمعهم فأراد أن يصالح غطفان على ثلث ثمار
المدينة حتى ينصرفوا وتخف الوطأة على المسلمين
فيلحقوا بقريش الهزيمة.

واستشار ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عباد -
رضي الله عنهما - في الأمر فقالا : يا رسول الله
: إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً بالله وطاعة، وإن
كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه، لقد كنا
نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة



الوثان وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، واعزنا بك تعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف . فصوب رأيهما وقال: «إنما هو شيء اصنعه لكم، لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة» .

وكان النبي ﷺ في تلك الأيام الصعبة يبعث الحرس إلى المدينة لئلا تؤتى الذراري والنساء على حين غره! فالأمر مهول والأحزاب تُسمع أصواتهم، والنبال تصل إلى خيل المسلمين! وقد وصف الله عز وجل تلك الساعات العصيبة

بوصف عجيب كأن العين تراهم، فقال تعالى:
 وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ
 بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
 زَلْزَالًا شَدِيدًا. [الأحزاب: ١٠-١١].

ولما أمر الله عز وجل بانجلاء الغمة وتفريج
 الكربة صنع أمر أ من عنده، خذل به العدو وهزم
 جموعهم وقل حدهم، وساق نعيم بن مسعود
 للتفريق بينهم! والنبى ﷺ يرفع يديه إلى السماء
 «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب،
 اللهم اهزمهم وزلزلهم» وكان المسلمون يدعون
 ربهم «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا».

فاستجاب الله الدعاء وبلغ الأمل وأذن
 بالنصر، و أرسل جنوداً من الرعب والريح قلبت
 قلوبهم وقدرهم، وقوضت قوتهم وخيامهم
 ودفنت رحالهم وآمالهم، فلم تدع قدراً إلا كفأتها
 ولا طنباً إلا قلعته ! ولا قلباً إلا أهلعته وأرعبته.

وبعد معركة الأحزاب أذفت البشائر وأشرقت
 المدينة، بقول النبي ﷺ : «الآن نغزوهم ولا
 يغزوننا، نحن نسير إليهم» وفي اجتماع الأحزاب
 في أزمدة متفرقة ومرات عديدة خلال العصور،
 حكمة بالغة في الرجوع إلى الله، وصدق التوكل
 عليه، والإنابة والذل وإظهار الحاجة، وبذل

الغالي لهذا الدين، قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. قال ابن القيم رحمة الله: «ومن ظن إدالة أهل الكفر على أهل الإسلام إدالة تامة فقد ظن بالله السوء». وعلى مر العصور وتقلب الدهور قول الصادق عليه السلام «بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والتمكين» لكن الأمر مشروط بشروطه، ومقيد بقيوده ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].